بناء الأخلاق في القرآن

(آيات حادثة الإفك أنموذجاً)

دراسة تفسيرية موضوعية

إعداد الدكتورة

أسماء رمضان كمال مصطفى

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فرع البنات - القاهرة

بناء الأخلاق في القرآن (آيات حادثة الإفك أنموذجًا) دراسة تفسيرية موضوعية

أسماء رمضان كمال مصطفى

قسم التفسير وعلوم القرآن-كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات- القاهرة- جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني AsmaaMostafa.2057@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يدور هذا البحث حول بناء الأخلاق في القرآن من خلال آيات حادثة الإفك، وهو يهدف إلى تدبر الآيات الواردة في الحادثة، والوقوف على الأخلاق المستنبطة منها، بهدف معالجة أزمة أخلاقية تعيشها المجتمعات في العصر الحاضر تؤثر سلبًا على الفرد والمجتمع بل هي من أخطر ما يواجه المجتمعات، وهي أزمة انتشار الشائعات، لاسيما مع التقدم التكنولوجي ووجود شبكة الإنترنت والتي تعد من أقوى الوسائل في ترويج الشائعات، ولا شك أن التعلم من المواقف والأحداث يبقى أثره في النفوس مستديمًا، وقد تناولت في هذا البحث مفهوم بناء الأخلاق، وأساليبه ووسائله في القرآن الكريم، ثم بناء الأخلاق الفردية والإجتماعية من خلال آيات حادثة الإفك، وقد أسفرت هذه الدراسة عن النتائج الآتية:

١- أولى القرآن الكريم بناء الأخلاق عنايةً بالغةً، ويدل على ذلك أن عدد آيات الأخلاق كبير جداً بالقياس إلى آيات الأحكام، حيث يزيد عددها عن خمسمائة وألف آية، في مختلف سور القرآن الكريم

٢- تنوعت أساليب بناء الأخلاق في القرآن تنوعًا كبيرًا، لو أردنا أن نستعرضها لطال بنا التطواف وما تمكنّا من الإحاطة بها.

٣- انطوت حادثة الإفك على قيم خلقية عديدة وعظيمة، التخلق بها يحمي المجتمع من مروجات الشر.

٤- يجب أخذ العبرة والعظة من التجارب والمواقف السابقة، حتى لا نكون فريسة لتوجيهات شياطين الإنس أو الجن التي تحاول جر المجتمع إلى الهاوية.

الكلمات المفتاحية: بناء، أخلاق، حادثة، إفك، أنموذج.

The Development of Morals in the Qur'an: Verses on the Incident of Slander as a Model
An Objective Exegetical Study

Asmaa Ramadan Kamal Mostafa.

Department of Qur'an Exegesis and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

Email: AsmaaMostafa.2057@azhar.edu.eg

Abstract:

This research revolves around the inculcation of morals through the verses of the incident of Al-Ifk (slander) in the Qur'an. It aims to contemplate the verses related to the incident and to derive the morals from them, with the goal of addressing a moral crisis currently faced by societies, which negatively affects both individuals and communities. This crisis, the spread of rumors, is one of the most dangerous challenges that societies face, especially with technological advancement and the presence of the Internet, which is one of the most powerful means of spreading rumors. In this research, the concept of building ethics, its methods and means in the Holy Qur'an have been addressed, and then the development of individual and social ethics through the verses of the Incident of Slander has been tackled. This study has resulted in the following conclusions:

1) The Qur'an has given great importance to the building of ethics. This is evidenced by the fact that the number of

verses on ethics is very large compared to the verses on rulings, exceeding 1,500 verses in various chapters of the Qur'an.

2) The methods of building morals in the Qur'an have varied greatly.
3) The Incident of Slander encompassed many great moral values; upholding these values protects society from the promoters of evil.
4) It is necessary to take lessons and moral insights from past experiences and situations.

Keywords: building – morals - incident – slander - model

المقدمة:

الحمد لله ﷻ الذي أمر بالمكارم والفضائل، ونهى عن الفواحش والرذائل، والصلاة والسلام على من بعث ليتمم صالح الأخلاق، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،

إن الأخلاق مقصد من مقاصد القرآن العليا، فقد عنى القرآن ببناء الأخلاق عناية بالغة، وعبر عن ذلك بأساليب شتى، ومن تلك الأساليب بناء الأخلاق من خلال ذكر المواقف والأحداث المختلفة؛ ولا شك أن التعلم من المواقف والأحداث له كبير الأثر في النفوس، ومن تلك الحوادث التي ذكرها القرآن حادثة كانت من أعظم المصائب والابتلاءات التي مرت ببيت النبوة وبالمجتمع الإسلامي آنذاك، وهي حادثة الإفك، وهذه الحادثة تشير إلى العديد من الأخلاق العظيمة؛ والتي في جملتها تعالج خطر الشائعات، والتي تعد من أخطر الأسلحة المدمرة للمجتمعات والأشخاص، لذا فقد عزمت مستعينة بالله تعالى أن اكتب في هذا الموضوع لما له من الأهمية الكبرى، ولضرورة التخلق بتلك الأخلاق، والعمل على نشرها وحث الناس عليها، والحذر مما يضادها من الأمراض الخُلُقية حمايةً للفرد والمجتمع من خطر الشائعات، لاسيما في هذا العصر الذي تنتشر فيه الكلمة بسرعة فائقة، مع التقدم التكنولوجي ووجود شبكة الإنترنت والتي تعد من أقوى الوسائل في ترويج الشائعات.

وقد جاء البحث بعنوان **(بناء الأخلاق في القرآن (آيات حادثة الإفك) أنموذجًا، دراسة تفسيرية موضوعية)**

أهداف البحث:

١- بيان عناية القرآن الكريم ببناء الأخلاق

٢- بيان أساليب القرآن في بناء الأخلاق

٣- بيان وسائل اكتساب الأخلاق في ضوء القرآن.

٤- توضيح واستنباط الأخلاق الواردة في آيات حادثة الإفك.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي[١] الاستنباطي[٢]، وذلك بتتبع الآيات الواردة في شأن حادثة الإفك، واستنباط القيم الخلقية منها، والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على تلك الأخلاق وتحث عليها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث؛ أن يكون بناؤه من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفق التفصيل الآتي:

أولاً: المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

ثانيًا: التمهيد: ويشتمل على: تعريف كلمات (بناء - الأخلاق - الإفك)، وبيان مفهوم بناء الأخلاق.

ثالثًا: المباحث:

المبحث الأول: بناء الاخلاق في القرآن، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عناية القرآن ببناء الأخلاق.

---

(١) المنهج الاستقرائي: هو تتبع قضايا جزئية للوصول إلى قضية كلية. منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام للدكتور حلمي عبد المنعم صابر، دار النشر: جرير للنشر والتوزيع، سنة (٢٠١٠) (ص: ٧٤).

(٢) المنهج الاستنباطي: هو استخلاص نتائج من شئ نعرفه معرفة يقينية تلزم عنه. المرجع السابق (ص: ٧٣).

المطلب الثاني: أساليب بناء الأخلاق في القرآن.

المطلب الثالث: وسائل اكتساب الأخلاق في ضوء القرآن .

المبحث الثاني: حديث القرآن عن حادثة الإفك.

المبحث الثالث: بناء الأخلاق في ضوء آيات حادثة الإفك، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: بناء الأخلاق الفردية

المطلب الثاني: بناء الأخلاق الإجتماعية

ثم الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، وفهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.

تمهيـــــد

تعريف كلمة بِناء:

بناء مصدر (بَنى) الشَّيْء بَنْياً وَبِنَاء وبُنياناً وبِنْيَةً وبِنايَةً أَقَامَ جِدَاره، والبَنْيُ: نَقيضُ الهَدْم، ويستعمل في معانٍ تدور حول التأسيس والتنمية مجازًا[١] .

تعريف الأخلاق:

الأخلاق في اللغة:

الأخلاق جمع خلق، والخُلُقُ، بسكون اللام وضمها: الدِّين وَالسَّجِيَّةُ والطبْع[٢].

قال القرطبي: حقيقة الخُلُق في اللغة الطبع الْمُتَكَلَّفُ، أما ما طبع عليه من الأدب فهو الخِيم (بالكسر): السجية والطبيعة، فما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى خلقًا؛ لأنه يصير كَالْخِلْقَةِ فيه، والخِيم الطبع الغريزي[٣] .

الأخلاق في الاصطلاح:

عرفها الإمام الغزالي فقال: الخلق هيئة في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير حاجة إلى فكر وَرَوِيَّةٍ، فإذا كانت تلك الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة شرعاً وعقلًا سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإذا كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا [٤].

وعرفها ابن مِسكَوَيهِ: الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم قسمين: منها ما يكون طبيعيًا من أصل المزاج،

---

(١) لسان العرب (١٤/ ٩٣)، القاموس المحيط ص (١٢٦٤)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٢٥٠)، المعجم الوسيط ص (٧٢).
(٢) لسان العرب (١٠/ ٨٦).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٢٧).
(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٣).

كالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، وكالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مَبدَؤُه بالفكر والروية، ثم يستمر عليه، حتى يصير ملكةً وخلقًا [١].

وعلى ذلك يمكن القول بأن المراد ببناء الأخلاق: تأسيس وتنمية القيم الخلقية حتى تصبح راسخة في النفس، تصدر عنها بكل سهولة ويسر.

تعريف الإفك: (أَفَكَ) الْهَمْزَةُ وَالْفَاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ الشَّيْءِ وَصَرْفِهِ عَنْ جِهَتِهِ. يُقَالُ: أُفِكَ الشَّيْءُ. وَأَفِكَ الرَّجُلُ: إِذَا كَذَبَ. وَالْإِفْكُ الْكَذِبُ، وأَفَكْته عن الأمر: صرفته عنه بالكذب والباطل، قال تعالى ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ (الأحقاف/ ٢٢) [٢].

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص (٤١).

(٢) كتاب العين (٥/ ٤١٦)، معجم مقاييس اللغة (١/ ١١٨).

المبحث الأول

بناء الاخلاق في القرآن

اعتنى القرآن الكريم ببناء الأخلاق الحميدة عناية فائقة، وبين الأساليب والوسائل التي باتباعها نهدف إلى ما نصل إليه من غرس الأخلاق الحميدة الفاضلة في نفوس البشر .

المطلب الأول: عناية القرآن ببناء الأخلاق:

القرآن الكريم منهج ودستور شامل لكل جوانب الحياة، يحتوي على كل ما يهدي البشرية إلى السعادة، وما يحتاج إليه الإنسان من معرفة تحدد علاقته بربه ونفسه ومجتمعه، عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا .

وقد أولى القرآن الكريم بناء الأخلاق عنايةً بالغةً، وحث على التمسك بأحسن الأخلاق بمختلف الأساليب، وحذر من ارتكاب رذائلها بشتى الطرق، وكذلك بين الوسائل التي تمكننا من اكتساب الأخلاق الحسنة وتجنب الرديء منها.

حتى إنه ربط بين العقيدة والأخلاق فجعل الأخلاق علامة على الإيمان قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾ (المؤمنون/١: ١٢)

وربط بين العبادات والأخلاق فجعل العبادات تؤثر في أخلاق صاحبها وكأن العبادات وسائل لتحقيق الأخلاق، فالصلاة تؤثر في سلوك صاحبها وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت/ ٤٥)، والزكاة تطهير وتزكية للمزكّي، قال عز وجل ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة/ ١٠٣)، والحج فيه دعوة للإقلاع عن الرفث والفسوق والجدال، قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة/ ١٩٧) .

"وبين أنَّ تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء، وطمأنينة وقلق، ويسر وعسر، ورخاء وضيق، وعز وذل، كل ذلك ونحوه، تبع لتغيير ما بأنفسهم من صفات ومعان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/ ١١)[(١)] "وإذا تتبعنا البناء الأخلاقي في القرآن الكريم، سوف نصل إلى حقيقة غفل الكثيرون عنها، وهي أن عدد الآيات المتعلقة بالأخلاق كبير جدًا بالقياس إلى آيات الأحكام، حيث بلغ عددها أربعًا وخمسمائة وألف آية، في مختلف سور القرآن الكريم. وهذا دليل على أهمية الأخلاق في القرآن، ووسيلةٌ تُمكِّننا من فهم أسلوب الحصر"بإنما " الوارد في الحديث الشريف: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[(٢)])"[(٣)].

المطلب الثاني: أساليب بناء الأخلاق في القرآن:

جاء القرآن الكريم يحث على اكتساب ما يزين النفس من أخلاق، معبرًا عن ذلك بأساليب شتى، ومن تلك الأساليب:

١- الأمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

(١) أصول الدعوة د عبد الكريم زيدان (١/ ٧٩)

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٥/ ٣٦٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ (صالح الأخلاق)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، قال الذهبي على شرط مسلم (٢/ ٦٧٠) برقم (٤٢٢١).

(٣) جزء من مقال في ملتقى أهل اللغة لـــ د خديجة إيكر بتاريخ [٠٧ - ١٢ - ٢٠١١]

يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل/ ٩٠، ٩١)، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ (آل عمران/ ٢٠٠).

٢- النهي عن الأخلاق السيئة، والآيات في ذلك كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف/ ٣١)، وقوله ﷻ ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج/ ٣٠)، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة/ ١٨٨)، وقوله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات/ ١١).

٣- الترغيب والحض على التحلى بالأخلاق الحسنة، قال تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (الشورى/ ٤٠)، وقال ﷻ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة النور/ ٢٢).

٤- التنفير من الأخلاق السيئة، قال تعالى ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء/ ٢٦، ٢٧)، وقال ﷻ ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة/ ٢٧٥)، وقال سبحانه ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة / ٧٧).

٥- الوعد بالثواب العظيم لمن تمسك بالأخلاق الحسنة، قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب/ ٣٥)، وقال عز وجل ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة/ ١٥٥: ١٥٧)، وقال سبحانه ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر/ ٩).

٦- الوعيد بالعذاب الشديد لمن اتصف بالأخلاق السيئة، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان/ ١٩)، وقال ﷻ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران/ ١٨٠)، وكما ورد في آيات حادثة الإفك قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور/ ٢٣)

٧- تكرار الخلق بأكثر من موضع وباستعمالات متعددة، بهدف ملء أسماع المؤمنين بهذه الصفة، حتى إذا ما سيطرت عليهم يستشعروها في أنفسهم ويتصفوا بها في سلوكهم وينفروا من ضدها، وذلك مثل: خلق (العزة) فقد تكرر في القرآن الكريم الوصف لذات الله القدسية بصفة العزيز ما يقرب من تسعين مرة.

ووصف به الرسول ﷺ والمؤمنين في قوله عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون/ ٨)، وتارة أخرى يقول عن عباد الله ﷻ الذين يحبهم ويحبونه ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة/ ٥٤)، وتارة أخرى يحصرها في الخالق سبحانه يهبها لمن يشاء، قال

تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران/ ٢٦)[١].

٨- ذكرها في بيان أخلاق الرسل الذين هم محل القدوة، قال تعالى ﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة:١٢٨)، وقال عز وجل ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم/ ٥٤).

٩- ذكر الأخلاق الحسنة كعلامة على الإيمان، قال تعالى ﴿ إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة/ ١٥)، وقال سبحانه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون/ ١: ٣).

١٠- عرض الأخلاق على شكل وصية وميثاق يؤخذ على المؤمنين وعليهم القيام عليه والالتزام به، يقول تعالى: ﴿ قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام/ ١٥١: ١٥٣).

(١) مباحث في إعجاز القرآن د مصطفى مسلم ص (٢٥٠).

وأحياناً تأتي الوصية على لسان أحد الأولياء المصطفين، وهذا كما في قوله تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه ﴿ وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان/ ١٣: ١٩)[1].

١١- ذكر الأخلاق على صورة ضرب الأمثال، وذلك كثير في القرآن، ومنه قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم/ ٢٤)، و قوله عز وجل﴿ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم﴾ (الحجرات/ ١٢) .

١٢- بناء الأخلاق من خلال واقعة أو موقف أو حادثة، كما سأعرضه من خلال آيات حادثة الإفك .

وغيرها من الأساليب الكثير، ذكرت بعضاً منها، لو أردنا أن نستعرضها لطال بنا التطواف وما تمكنّا من الإحاطة بالأساليب القرآنية في بناء الأخلاق .

(١) مباحث في إعجاز القرآن د مصطفى مسلم ص (٢٥٣) بتصرف.

المطلب الثالث: وسائل اكتساب الأخلاق في ضوء القرآن الكريم:

الأخلاق الحسنة منها ما كان فطريًا جبليًا، تحصل بجود إلهي بحيث يخلق الإنسان ويولد حَسن الخلق، ومنها ما يحصّل بالاكتساب والمجاهدة وحمل النفس على الأخلاق الحسنة، ولذلك وسائل كثيرة بينها القرآن الكريم، ومنها:

١- بذل الجهد والتكلف لاكتساب الأخلاق الحسنة، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت/٦٩)، فيتكلف الإنسان الأخلاق التي يريد التخلق بها، فمن أراد مثلًا أن يكتسب خلق التواضع، فعليه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة، وهو مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك طبعًا له وخلقًا، وكذا جميع الأخلاق المحمودة تحصل بهذا الطريق(١) .

٢- مصاحبة الأخيار ذوي الأخلاق الحسنة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة/ ١١٩)، قال تعالى ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (الكهف/ ٢٨)، وقد قال ﷺ "لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ" (٢) لأن المرء يتأثر ويقتدي بمن يجالسه ويصاحبه ويعاشره فيقتبس منه صفاته.

٣- اتخاذ القدوة الحسنة، وخير قدوة هو سيدنا وقدوتنا رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب/ ٢١)، فعلى المسلم أن يستحضر سيرة النبي ﷺ ويقتدى به في أخلاقه العظيمة، وشمائله الكريمة، ومن القدوة الحسنة أيضًا استحضار سيرة الصحابة الكرام المليئة بالخير وكريم الأخلاق.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ١٧٨) برقم (٢٣٩٥)، وقال: هذا حديث حسن.

٤- ترك البيئة الفاسدة والفرار منها كما يفر من المكان الموبوء، والتحوّل إلى البيئة الصالحة التي تضمّ الصالحين، فإن البيئة الصالحة تقوي في المؤمن الأخلاق الحميدة، وتقيه من الأخلاق الرديئة، والبيئة الفاسدة تدفع المرء لسوء الأخلاق. قال تعالى عن ملكة سبأ ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (النمل/ ٤٣)، فكونها من جملة الكفار صار سببًا لحصول الداعية المستلزمة للكفر(١).

٥- مباشرة الأعمال الطيبة التي تؤدي إلى تقويم الأخلاق، كالقيام بأنواع العبادات والطاعات، فهي تزكي النفس وتسهّل عليها اكتساب الأخلاق الحميدة وترك الأخلاق الخبيثة، قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس/ ٩، ١٠) وقال سبحانه ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت/ ٤٥)، وقال عز وجل ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة/ ١٠٣).

٦- التواصي بالأخلاق الحسنة، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر/ ٣) وقال عز وجل: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (البلد/ ١٧).

٧- أن يعرف المسلم عظيم حاجته إلى التخلق بالأخلاق الحسنة؛ فهي علامة على الإيمان، وسبب للفوز برضوان الله تعالى ومغفرته، قال تعالى ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى/ ٤٠)، وقال ﷻ ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (سورة النور/ ٢٢) ويعرف كذلك عظيم ضرر الخلق السيء عليه؛ فإنه من علامات النفاق، وسبب سخط اللهﷻ ودخول النار، قال تعالى ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا

(١) مفاتيح الغيب (٢٤/ ٥٥٨).

أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة / ٧٧)، وقال سبحانه ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران/ ١٨٠) [١] .

(١) يراجع: أصول الدعوة لـــ عبد الكريم زيدان (٩٥: ١٠٢).

المبحث الثاني

حديث القرآن عن حادثة الإفك

اختلف المفسرون في آيات حادثة الإفك على أقوال:

١- ذهب بعض المفسرين أن آيات حادثة الإفك عشر آيات [١]، وذلك من قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة النور (١١: ٢٠)، واستدلوا لهذا القول بقول عائشة رضي الله عنها" فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ عَشْرَ آيَاتٍ " [٢]، قال ابن عطية: فكأنها – رضي الله عنها – عدت ما تختص بها [٣].

٢- وذهب البعض إلى أنها ثمان عشرة آية [٤]، ولا أدري أي الآيات هي؟ وكأن الخلاف مبني على الخلاف في رؤوس الآي، كما قال الآلوسي[٥].

٣- وقيل إنها ست عشرة آية [٦]. وهذا الذي اعتمدته في البحث بأنها ست عشرة آية؛ لأنها مما يتصل بحديث الإفك ويدور حوله، وذلك من قوله تعالى

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٨٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٩)، تفسير المراغي (١٨/ ٧٨) .

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٢٩) برقم (٢٧٧٥)، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٦٨) .

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(٣/ ٢١٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٠٠)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٤٩١).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ٣١٢).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٦٨)، التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٢٣٧).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ..الآية ﴾ سورة النور (١١: ٢٦)

الآيات:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) ﴾ (النور/ ١١: ٢٦).

سبب نزول الآيات:

ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(١)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ(٢) قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُهَبَّلْنَ (٣) وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ١١٦) برقم (٤١٤١)، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، وصحيح مسلم (٤/ ٢١٢٩) برقم (٢٧٧٥)، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف .

(٢) الجَزْع بفتح الجيم وسكون الزاي خرز يمني، وظفار مدينة. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١/ ٤٣٥).

(٣) أي لم يكثر لحمهن من السّمن فيثقلن. تفسير غريب ما في الصحيحين ص (٥٣١).

الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ[١] فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» فَذَاكَ يَرِيبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ [٢] وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا[٣]، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ[٤] أَوَ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ

(١) مُوغِرين أي نازلين في وقت الوَغْرة، وهي شدة الحر، لما تكون الشمس في كبد السماء. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٨/ ٤٦٣).

(٢) بفتح القاف وكسرها لغتان في برأ من المرض وهو قريب العهد لم يرجع إليه كمال صحته. المرجع السابق (٨/ ٤٦٥).

(٣) المرْطُ كِساء مِنْ خَزّ أَو صُوف أَو كَتَّانٍ. لسان العرب (٧/ ٤٠١).

(٤) ياهنتاه، كأَنَّهَا نسبتها إلى البله وقلة المعرفة بمكايد النَّاس وفسادهم ويُقَال امْرَأَة هنتا أَي بلهاء. تفسير غريب ما في الصحيحين ص (٥٣٢).

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ (١) عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ – وَهُوَ

(١) أغمصه: أعيبه، غمصت الشَّيْء عبته . المرجع السابق ص (٥٣٣).

ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ –، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا قَالَ فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف/ ١٨) قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا، وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ:

فَوَاللهِ مَا رَامَ[1] رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ[2] عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾، مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ [النور/ ٢٢]، قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِي «مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي[3] مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ .

---

(١) أي ما فارق مجلسه . فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٦).

(٢) شِدَّةُ الْكَرْبِ مِنْ ثِقَلِ الوَحْيِ. لسان العرب (٢/ ٤١٠).

(٣) أي تعاليني من السمو وهو العلو والارتفاع أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٨/ ٤٧٨)

المبحث الثالث

بناء الأخلاق في ضوء آيات حادثة الإفك

اشتملت حادثة الإفك على العديد من الأخلاق العظيمة، الأفراد والمجتمعات بحاجة ماسة إلى التخلق بتلك الأخلاق صيانة للنفس، وحماية للمجتمعات من خطر الشائعات التي تؤدي بها إلى التفكك والانهيار.

المطلب الأول: بناء الأخلاق الفردية:

١- التفاؤل:

الفأْل: ضِدُّ الطِّيَرَة، والجمع فُؤُول، وأَفْؤُل، والْفَأْلُ: مَا يُتَفَاءَلُ بِهِ، والفأل: أن يكون الرّجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالم، أو يكون طالب ضالّة فيسمع آخر يقول يا واجد، فيقول تفاءلت بكذا، فيتوّجه له في ظنّه كما سمع أنّه سيبرأ من مرضه أو يجد ضالّته، والفأل الصّالح: الكلمة الحسنة [١]، فالمراد بالتّفاؤل " انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظّنّ، وتوقّعه الخير بما يسمع من الكلم الصّالح أو الطّيّب أو الحسن" [٢].

من أهم الأخلاق التي تستنبط من آيات حادثة الإفك خلق التفاؤل، فهذه الحادثة كانت من أعظم المحن والابتلاءات التي مرت ببيت النبوة، ومع ذلك فقد قال الله تعالى فيها ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور/ ١١) أي: لا تظنوا أن ذلك الإفك الذي جاءوا به شرًا لكم عند الله ﷻ وعند الناس، بل هو خير لكم عنده سبحانه وعند المؤمنين، وذلك أنه سبحانه يجعله كفارة لِلْمَرْمِيِّ به ويُظهر براءته مما رُمي به، ويجعل له مخرجًا[٣]، وقد كشف عن قوي الإيمان

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٦٨)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٧٨٨)، تاج العروس (٣٠/ ١٤١).

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ١٠٤٥).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ١١٥).

من ضعيفه، وأظهر حقيقة المنافقين وبين ما يضمرونه من سوء للنبي ﷺ ولأهل بيته، وللمؤمنين، كما أنكم قد نلتم أرفع الدرجات عند الله تعالى بصبركم عليه وتكذيبكم له [١]، فهذا الحديث الآثم، وإن كان فى ظاهره أنه شرّ ضاقت وتأذت به النفوس الطاهرة، فإنه يحمل فى طيّاته خيرًا كثيرًا، حين ينجلى هذا الضباب، فيسفر عن وجه الحق، ويكشف عن آية من آيات الله ﷻ، فى العفّة، والطهر [٢].

قال ابن حجر: وفيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج [٣].

ولقد حث القرآن الكريم على التفاؤل وترك اليأس والقنوط في كثير من الآيات، قال تعالى ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّـهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق/ ١)، وقال سبحانه ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح/ ٥، ٦)، ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّـهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء/ ١٩).

وقال عزوجل﴿ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف/ ٨٧)، ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر/ ٥٦).

وكان النبي ﷺ يحب التفاؤل ويكره التشاؤم: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا طِيَرَةَ، وخيرها الفَأْلُ» قال: وما الفَأْلُ يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»[٤].

وعن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: " لا عدوى ولا طِيَرَةَ، ويعجبني الفَأْلُ الصالح: الكلمة الحسنة"[٥] وإذا تتبعنا مواقف النبي ﷺ في جميع أحواله،

---

(١) التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوى (١٠/ ٩٤).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٢٣١).
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٨/ ٤٨١).
(٤) صحيح البخاري (٧/ ١٣٥) برقم (٥٧٥٥)، كتاب الطب، باب الفأل .
(٥) صحيح البخاري (٧/ ١٣٥) برقم (٥٧٥٦)، كتاب الطب، باب الفأل.

فسنجدها مليئة بالتفاؤل وحسن الظن بالله تعالى، ومن تلك المواقف قوله ﷺ لصاحبه الصديق ﷺ وهما في طريق الهجرة، بكل تفاؤل وثقة بالله تعالى ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة/ ٤٠)

وللتفاؤل فوائد كثيرة، من أهمها حسن الظّنّ بالله تعالى. قال الحكيم الترمذي: والفأل من حسن الظن بالله تعالى(١)، وفي الحديث القدسي عن النبي ﷺ قال: " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " (٢)، ومن فوائد التفاؤل كذلك أنه يقوي العزم ويبعث على الجد ويعين على الظَّفَرِ (٣) .

وهكذا فإن في كل ابتلاء ضاقت به النفس، وفي كل شر يقع بنا، خير سنكتشفه لاحقًا ،" فالعبرة في الأمور بعواقبها، وكأنه سبحانه وتعالى ينبه في هذه الآية أن لا يتعجل أحد في الحكم على القضاء والقدر، وعليه التسليم والرضا بما قدر الله عز وجل له؛ علَّ الله أن يحسن له العاقبة " (٤) فحادثة الإفك تعطى درسًا في التفاؤل وحسن الظن بالله تعالى لكل من أصيب ببلاء أو وقعت عليه شائعة تؤذيه في نفسه أوعرضه، وإن بدا الأمر ظاهره السوء، فله حسن العاقبة والأجر.

---

(١) المنهيات ص (٦٦).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ١٢١) برقم (٧٤٠٥)، كتاب التوحيد، باب قول اللَّه تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: ٢٨].

(٣) أدب الدنيا والدين ص (٣١٦).

(٤) تفسير سورة النور لـــ محمد بن محمد المختار الشنقيطي (٥/٤).

٢- ترك العجب:

العجب: عرفه ابن المبارك بقوله: (أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك)[١]، وقال الغزالي: "العجب أن يستعظم الإنسان النعمة ويركن إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم"[٢]، وعرفه الجرجاني بأنه "عبارة عن تصور الشخص استحقاق رتبة لا يكون مستحقًا لها" [٣].

من الأخلاق التي تستنبط من آيات حادثة الإفك، عدم العجب بالنفس، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور/ ٢١)، والمعنى: ولولا فضل الله ﷻ عليكم ورحمته لكم أيها الناس، ما تَطَهَّر من دنس ذنوبه وشركه منكم من أحد أبدًا، ولكن الله ﷻ يطهرُ من يشاء من خلقه، عن ابن عباسﷺ: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئًا من الشرّ يدفعه عن نفسه[٤].

وهذا يعنى أن الناس جميعًا معرّضون للزلل، والوقوع فى الخطايا والآثام، قال ﷺ: " كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون" [٥]، ولكن الله ﷻ بفضله ورحمته بعباده، جعل لهم مطهّرا يتطهرون به من خطاياهم وآثامهم، وذلك عن طريق الطاعات والعبادات والقربات [٦]، فلا يغتر أحد بنفسه ويعجب بعلمه أو عمله وتدينه، فإن ذلك من فضل الله عليه لا بأعماله وتحرزه من المعاصي .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٧١).

(٣) التعريفات ص (١٤٧).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ١٣٥).

(٥) سنن ابن ماجه برقم (٤٢٥١) (٥/ ٣٢١) باب ذكر التوبة، قال الأرنؤوط: حسن رجاله ثقات غيرَ علي بن مسعدة، وهو مختلف فيه.

(٦) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٢٥١).

وهذا المعنى الذي بينته الآية، ورد في غير موضع من القرآن، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء/ ٤٩]، وقال عزوجل ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم/ ٣٢]، وكان من دعاء النبي ﷺ: "اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا "(١).

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها خير من امتثل هذا الخلق حينما نزل القرآن ببراءتها من الإفك، قالت: (وَأَنَا، وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا)(٢).

وقد وردت في القرآن الكريم آيات عدة تحذر من مغبة العجب، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (التوبة: ٢٥)، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا . كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا . وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا . وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ (الكهف/ ٣٢: ٣٦)، فكانت العاقبة في الدنيا قبل الآخرة ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (الكهف/ ٤٢).

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٨) برقم (٢٧٢٢)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٢) سبق تخريجه في سبب نزول آيات الإفك.

ومن الأحاديث في ذم العجب والتحذير منه، عن أبي هريرة عن النبي قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ[١]، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[٢]، عن أنسﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: " لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكثر منه العُجْب" [٣]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات. فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.. الحديث"[٤].

وللعجب آفات كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر ويتولد من الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، هذا مع العباد، وأما مع الله ﷻ فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها، وما يتذكره منها يستصغره ولا يستعظمه، فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أن الله ﷻ يغفر له، وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويمن على الله ﷻ بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها [٥].

ومن أعجب بطاعته واستعظمها في نفسه، ربما تطور معه الأمر إلى أن يزدري من يبدو منهم التقصير، ويرى نفسه خيرًا منهم، وهذا مكمن الخطر

---

(١) الجمة من الْإِنْسَان مُجْتَمع شعر ناصيته، ورجلت الشّعْر سرحته . تفسير غريب ما في الصحيحين ص (٣٤٠).

(٢) صحيح البخاري (٧/ ١٤١) برقم (٥٧٨٩)، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه خيلاء.

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٣/ ٣٢٦)، برقم (٦٩٣٦) وقال: هذا الحديث لا نعلم رواه، عن ثابت، عن أنس إلا سلام أبو المنذر، وهو رجل مشهور روى عنه عفان والمتقدمون.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٤٧) برقم (٥٧٥٤)، قال الهيثمي: وفيه ابن لهيعة ومن لا يعرف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(١/ ٩١).

(٥) إحياء علوم الدين(٣/ ٣٧٠).

وأس البلاء، فربما غفر الله ﷻ لذلك المذنب بانكساره بين يديه ﷻ وخوفه من ذنبه، وعُذب هذا المعجب المغتر بصلاحه وعبادته، " فلعل كسرة المذنب بذنبه وما أحدث له من الذلة والخضوع، والتخلص من مرض الدعوى والكبر والعجب، ووقوفَه بين يدي الله تعالى خاشع الطرف، ناكس الرأس، منكسر القلب، خيرٌ له وأنفعُ من صولة طاعتك والإعتدادِ بها، والمنةِ على الله ﷻ وخلقه بها، فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله تعالى وما أقرب هذا الْمُدِلَّ من مقت الله ﷻ"[١].

فآيات حادثة الإفك تشير إلى أنه على الإنسان ألا يعجب بعمله الصالح؛ بل يعترف بالفضل لله عزوجل ولا يحتقر المذنبين ويعتبر نفسه مميزًا عنهم، وليعلم أن الله عز وجل هو الذي عصمه من الوقوع في هذا الإفك وتلك الشائعة، فلولا فضل الله ﷻ عليه؛ لوقع فيما وقع فيه غيره من الإثم، واتباع خطوات الشيطان.

المطلب الثاني: بناء الأخلاق الإجتماعية:

١- حسن الظن:

حسن الظّنّ يعرّف بأنه ترجيح جانب الخير على جانب الشّر[٢] ، وهو أحد الأخلاق التي تحض عليها آيات حادثة الإفك قال تعالى: ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ (النور/ ١٢)، في هذه الآية عتاب من الله تعالى للمؤمنين فيما وقع في نفوسهم من إرجاف من أرجف في أمر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[٣]، أي هلا إذ سمعتم ما قال أهل الإفك فى عائشة رضي الله عنها ظننتم خيرًا؛ فإن الإيمان يحملكم على إحسان

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٩٥).
(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٥/ ١٥٩٧).
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ١٢٨).

الظن، ويمنعكم عن إساءتكم لأمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم، كما قال تعالى ﴿ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (الحجرات/١١)، وقال سبحانه ﴿ فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ ﴾ (النور/ ٦١)، وهلا قلتم حينئذ: أن هذا كذب ظاهر، فإن الذي وقع ليس فيه ما يرتاب منه- ذاك أن مجيء أم المؤمنين رضي الله عنها، راكبة على راحلة صفوان جهرة وقت الظهيرة، والجيش بأجمعه يشاهد ذلك، والنبي ﷺ بين أظهرهم ينفى كل شك، وإنما قيل ما قيل لحسد كامن فى القلوب، وبغض مكتوم فى النفوس[١].

ففي هذه الآية تنبيه للمؤمن إذا سمع في أخيه قَالَة[٢] أن يبني الأمر فيها على الظن الحسن، وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه الخير بالمؤمن هذا إفك مبين، هكذا باللفظ المصرح ببراءة أخيه، كما يقول المتيقن المطلع على الحقيقة، وهذا من الأدب الحسن [٣].

وقد دعى القرآن إلى حسن الظن بالناس واجتناب سوء الظن بهم؛ لأن سرائر الناس لا يعلمها إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات/ ١٢) " فقد قال سبحانه: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ ولم يقل: الظنّ كله، إذ قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، فقال: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ فأذن الله جل شأنه للمؤمنين أن يظنّوا ببعضهم الخير وأن يقولوه، وإن لم يكونوا على يقين من قيله فيهم" [٤].

---

(١) تفسير المراغي (١٨/ ٨٤) .

(٢) قالة: قول فاشٍ في الناس، خيرًا كان أو شرًّا . معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٨٧٣).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢١٨)، البحر المحيط في التفسير(٨/ ٢١)

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ٣٠٣).

ويضرب لنا النبي ﷺ أروع المثل في حسن الظن، ففي رواية حادثة الإفك عن عائشة رضي الله عنها، وفيها " فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا " [١]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ[٢]، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ [٣] وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي– أي سله –، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا[٤]، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، – ثَلاَثًا – " وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ" [٥].

وقال ﷺ " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا " [٦].

- **ومما يعين على حسن الظن: إنزال النفس منزلة الغير .**

وقد أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ قوله (بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) فيه وجهان: الأول: أن يظن بعضهم ببعض خيرًا، والمعنى: بأمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم، والثاني: أنه جعل المؤمنين كالنفس

---

(١) سبق تخريجه في سبب نزول آيات الإفك.
(٢) كل شجر له شوك. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١/ ١٥٨)
(٣) شجرة كثيرة الورق. المرجع السابق (٧/ ٤٢٧).
(٤) أي مجردا عن غمده. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ٤٢٧).
(٥) صحيح البخاري (٤/ ٣٩) برقم (٢٩١٠)، كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة.
(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٤١٠)، ص (١٤٨).

الواحدة، فإذا جرى لأحدهم مكروه فكأنه جرى على جميعهم [١] قال ﷺ: " مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٢]، وقال ﷺ: " المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"[٣].

فيجب على المسلم أن يحسن الظن بإخوانه ويقيس الأمر على نفسه وأهله، فلو أن كل فرد منا عند صدور قول أو فعل من أخيه وضع نفسه مكانه لحمله ذلك على أن يحسن الظن به، وهذا ما فعله الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري ﷺ مع زوجته، عندما بلغهم حديث الإفك، فقد روي أن أبا أيوب الأنصاري دخل على امرأته، فقالت له: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أمّ أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك[٤].

ولإحسان الظن فوائد كثيرة: فهو يولّد الألفة والمحبّة بين المسلمين، ودليل على سلامة القلب وطهارة النّفس، ويحافظ على أعراض المسلمين، ويهيّء المجتمع الصّالح القوي المتماسك، ويحقّق التّعاون بين أفراده [٥].

نخلص من ذلك بأن آيات حادثة الإفك تشير إلى أن الأصل في تعامل المسلمين يقوم على أساس حسن الظنّ المتبادل بين بعضِهم البعض، ويجب على

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٤١) بتصرف.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٩) برقم (٢٥٨٦)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٣) صحيح البخاري (٨/ ١٢) برقم (٦٠٢٦)، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٢٩).

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٥/ ١٦٠٨) بتصرف.

أهل الإيمان أن يقيسوا ما سمعوه من شائعات على أنفسهم ويظنوا الخير في إخوانِهم، ويلتمسوا لهم الأعذار، قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: «لَا تَظُنُّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ فِيِّ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا» [١]، وذلك مما يولّد الألفة والمحبّة بين المسلمين، ويهيّء المجتمع الصالح المتماسك.

٢– التبين:

التَّبْيِن: التثبُّتُ فِي الأَمر والتَّأَني فِيهِ [٢]، والتبين: علم يحصل بعد الالتباس[٣]. الالتباس[٣].

التبين خلق عظيم من الأخلاق التي أمر بها القرآن، ودلت عليه آيات حادثة الإفك، قال تعالى ﴿ لَوْلا جاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ ﴾ (النور/ ١٣)، والمعنى هلا أتى أصحاب الإفك بأربعة شهداء يشهدون على معاينتهم ما ذكروه في شأن عائشة، فحين لم يقيموا بينة ويأتوا بالشهداء على ما قالوا، فأولئك في حكمه تعالى هم الكاذبون[٤]، وقيل: جملة ﴿ لَوْلا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ﴾ من تمام ما يقوله المؤمنون، أي: هلا قال المؤمنون عند سماعهم الإفك: هذا إفك ظاهر، وقالوا كذلك هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء ليشهدوا على ما قالوا [٥]، فإذا لم يأتوا بالشهداء كذبتموهم .

ففي هذه الآية توبيخ للذين سمعوا الإفك ولم يجدّوا في إنكاره ودفعه، واحتجاج عليهم بما هو مكشوف ظاهر في الشرع: من وجوب تكذيب القاذف الذي لم يأت ببينة [٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس ص (٥٠).
(٢) لسان العرب (١٣/ ٦٨).
(٣) الكليات ص (٦٧).
(٤) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٤٢).
(٥) فتح القدير (٤/ ١٦).
(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢١٩) بتصرف.

ولقد ورد الأمر بالتبين صريحًا في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات/ ٦)، وقال عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء/٩٤)

وكان النبي ﷺ يربي أصحابه على التبين، ومن ذلك وصيته لعلي بن أبي طالب ﷺ حين بعثه إلى اليمن قاضيًا، عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ، فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ، كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ» [(١)] وعن أنس بن مالك ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ [(٢)].

وللتبين فوائد عدة: ففيه حفظ للأرواح وصيانة الدّماء، ووقاية للمجتمع من مخاطر القرارات السّريعة غير المدروسة، ويصون حقوق الأفراد والجماعات ولا تكون عرضة للظّنّ[(٣)]، والتّبيّن من خصائص أهل الإيمان، قال الحسن البصريّ: «المؤمن وقّاف حتّى يتبيّن»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٣٠١) برقم (٣٥٨٢) واللفظ له، والترمذي في سننه (٣/ ١١) برقم (١٣٣١)، وقال: حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٢٥) برقم (٦١٠)، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء.

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ٩٠٨).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٥٨٤).

وهكذا فآيات حادثة الإفك تدعو إلى التثبت والتبين من الأخبار، ونحن في أمس الحاجه إلى التخلق بهذا الخلق الكريم؛ في هذا الزمن الذي تُرمى فيه التهم جزافًا، وتنقل فيه الشائعات بسرعة شديدة دون تبين ولا تثبت، فبالتبين يعرف الحق من الباطل فيما يروج من أخبار وشائعات.

٣- صون اللسان:

الكلمة خطرها عظيم قال ﷺ " إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ"(١).

وفي حادثة الإفك إشارة واضحة إلى ضرورة صون اللسان حفظًا للفرد والمجتمع، والتوعد بالعذاب الشديد لمن أطلق لسانه لاسيما فيما يتعلق بالأعراض، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ (النور/ ٢٣: ٢٥).

فإن ترك الألسنة تلقي التهم على المحصنات العفيفات بدون دليل قاطع، يترك المجال فسيحًا أمام كل من شاء أن يقذف بريئًا أو بريئة بتلك التهمة النكراء؛ فتصبح الجماعة وتمسي، وإذا سمعتها ملوثة وأعراضها مجرحة؛ وكل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام؛ ويصبح كل زوج شاك في زوجه، وكل رجل شاك في أصله، وكل بيت مهدد بالانهيار؛ لهذا وصيانة للأعراض من الاتهام، وحماية لأصحابها من الآلام التي تلحق بهم، شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف(٢) بما لم يشدد في غيرها، "حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين،

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٠١) برقم (٦٤٧٨)، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.
(٢) الأساس في التفسير (٧/ ٣٦٩٧) بتصرف.

مطرودين من رحمة الله تعالى، وتوعدهم بالعذاب العظيم الهائل الذي لا يقادر قدره في الآخرة، وكذلك تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما أفكوا، ويوفيّهم الله ﷻ الجزاء الحق الذي هم أهله، حتى يعلموا عند ذلك الموقف أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ"[1].

فيجب على المسلم أن يصون لسانه عن كل قبيح، ومن صون اللسان، كما ورد في آيات حادثة الإفك:

- **ترك التكلم بالباطل، والقول بلا علم.**

قال تعالى في بيان سبب عذاب الذين جاءوا بالإفك ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (النور/ ١٥)، أي: إذ تأخذونه بألسنتكم، وذلك بأن يقول بعضُكم لبعض: هل بلغك حديث عائشة، رضي الله عنها، حتى شاع وانتشر فيما بينكم (وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) أي تقولون قولًا بالأفواه، ليس له مصداق ومنشأ في القلوب؛ لأنه لا يكون عن علم به في قلوبكم، فهذا كقوله سبحانه: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران/ ١٦٧)[2]، فهذا بيان وتوضيح لسبب العذاب، وهو تلقي الباطل بالألسنة، والقول بالأفواه، وهما نوعان محرمان: التكلم بالباطل والقول بلا علم، قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء/ ٣٦) [3].

وهذا التصوير لتناقل شائعات السوء من إعجاز القرآن الكريم، حين تجد آذانًا مصغية إليها، ونفوسًا مستجيبة لها، فتنطلق حينئذ فى سعار وجنون، فلا تدع للناس فسحة من الوقت كي يتلقونها بآذانهم، ثم يديرونها فى عقولهم، ليكون لهم خيار فى ردها أو قبولها، بل يُلقى بها على ألسنتهم خلقًا مصنوعًا، مجهزًا

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٢٣)، البحر المحيط في التفسير (٨/ ٢٧).
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩/ ٣١٥).
(٣) محاسن التأويل (٧/ ٣٥١) بتصرف .

للتعامل به على صورته هذه، إنها كلمات مردّ الحكم فيها إلى الألسنة.. وكثير من الناس، يقفون بالكلام على حدود ألسنتهم [١].

وقد حذر سبحانه من ذلك أشد التحذير فقال عز وجل ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ أي وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكم له بألسنتكم، وتلقِّيكم له بعضكم عن بعض هين سهل، لا إثم فيه ولا حرج[٢]، والحال أنه عند الله ﷻ عظيم لا يقادر قدره في الإثم واستجرار العذاب [٣].

ففي الآية تحذير لهؤلاء الذين يستخفّون بالكلمة، وينفقون من رصيد ألسنتهم دون حساب، ظانين أن ذلك لن يضرهم فى شىء أبدًا، ما دام لا يكلّفهم جهدًا أو مالًا، ولكن هذا الظن خاطئ، فالكلمة ليست مجرد صوت يخرج من الفم، وإنما هي رسالة من الرسالات إلى عقول الناس، قد تكون طيبة، فتحمل إليه الهدى والخير، وقد تكون خبيثة، فتسوق إليهم الهلاك والبلاء، وقد ضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة فقال سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ﴾ (إبراهيم / ٢٤: ٢٦) [٤].

- **ألا نحدث بكل ما نسمع:**

حذر الشارع أشد التحذير من تحدث الشخص ونقله لكل ما يسمعه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « كفى بالمرء كذبًا، أن يُحدّث بكل ما سمع»[٥]. وفي رواية « كفى بالمرء إثماً، أن يُحدّث بكل ما سمع» [٦].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٢٤٤).
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ١٣٢).
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٦٢).
(٤) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٢٤٤).
(٥) أخرجه الإمام مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما يسمع (١/ ١٠).
(٦) سنن أبي داود (٤/ ٢٩٨) برقم (٤٩٩٢).

وقد جاء التأديب بهذا الأدب في آيات حادثة الأفك قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور/ ١٦)، والمعنى: هلا حين سمعتم ما لا يليق من الكلام الخبيث قلتم: ما ينبغي ولا يحل لنا التفوه بهذا الكلام، والخوض في عرض النبي ﷺ، ولا نذكره لأحد لأنه لا دليل عليه، سبحان الله ﷻ أن يقال هذا الكلام على زوجة نبيه ورسوله ﷺ،.. فهذا الكلام بهتان عظيم واختلاق أثيم، وإيذاء للنبي الكريم ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ﴾ (الأحزاب/ ٥٧) [١].

فالواجب على العاقل أن يبذل جهده في حفظ اللسان حتى يستقيم له، إذ اللسان يورد المرء موارد العطب والصمت يكسبه المحبة والوقار، فالرجوع من الصمت أفضل من الرجوع عَن الكلام [٢]. ولا يتحدث بكل ما يسمعه وينشره، منعًا لرواج الشائعات المغرضة والأخبار الملفقة حتى تموت في مهدها.

٤- العدل:

العدل خلق عظيم من الأخلاق التي أمر بها القرآن، ودلت عليه آيات حادثة الإفك، ويظهر ذلك في تفاوت العقوبة لكل من خاض في حديث الإفك، كلٌ بحسب عمله ودوره في الحادثة، قال تعالى ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور/ ١١)، أي لكلّ امرئ من هذه العصابة الآثمة التي جاءت بهذا الإفك جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه من السوء، أما زعيمها والذى تولّى معظمه، فله عذاب عظيم، أضعاف ما يلقاه غيره من الذين معه، فإنه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله ﷺ [٣]، فيكون قدر العقاب مثل قدر الخوض[٤].

---

(١) التفسير المنير للزحيلي (١٨/ ١٨١).
(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ٤١) بتصرف.
(٣) يراجع: التفسير المنير للزحيلي (١٨/ ١٦٩)، التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٢٣١).
(٤) اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٣٢٠).

ويظهر كذلك في إعطاء العصاة جزاءهم الحق الذي هم أهله كاملًا وافيًا، قال تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ (النور/ ٢٥)، أي ما نوفيهم من الجزاء هو القدر المستحق؛ لأن هذا الجزاء هو الحق، وما زاد عليه هو الباطل [١]، و يعلمون أن وعد الله ﷻ ووعيده وحسابه هو العدل، لا جور فيه [٢].

وقد جاء الأمر بالعدل في كثير من الآيات، قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ **(النساء/٥٨)** ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ **(المائدة/ ٨)**، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ **(الأنعام/١٥٢)**، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ **(النحل/ ٩٠)**، وغيرها من الآيات الكثير.

وقد تضافرت السنة بالعديد من الأحاديث التي تحث على الاتصاف بالعدل، ومنها قوله ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» [٣]، وعن عامر، قال: سمعت النّعمان بن بشير– رضي الله عنهما– وهو على المنبر يقول: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ" [٤].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٥٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٤).

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٨) برقم (١٨٢٧)، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر.

(٤) صحيح البخاري (٣/ ١٥٨) برقم (٢٥٨٧)، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة.

فآيات حادثة الإفك فيها دلالة على عدل الله تعالى، وأنه سيؤاخذ الإنسان بما نطق به لسانه وما اجترحت يداه من الإثم، كلٌ بقدر عمله، بما يتعلم منه المسلم ذلك الخلق، فيتصف بالعدل في شؤونه كلها.

وكذلك تشير الآيات إلى ضرورة إيقاع العقوبة الصارمة مع من يثير الشائعات ويسعى في نشرها فإن إهمال ملاحقة ومعاقبة مثير الإشاعة وناقل الإفك، يجعل المجتمع لا ينتهي من فتنة إلا ويقع في أخرى.

٥- إباء النفس إشاعة الفاحشة:

من الاخلاق التي تستنتبط من آيات حادثة الإفك والتي ينبغي للمسلم أن يتصف بها، إباء النفس إشاعة الفواحش، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ففي الآية زجر عن حب إشاعة الفواحش بين المؤمنين، وذم لمن يحب ذلك، والتوعد له بالعذاب الأليم.

فيجب على المسلم أن تأبي نفسه إشاعة الفواحش، وأن يتصف بسلامة القلب تجاه المؤمنين، " فيحب لإخوانه المؤمنين ما يحب لنفسه، فكما لا يحب أن يشيع عن نفسه خبر سوء، يجب عليه كذلك أن لا يحب إشاعة السوء عن المؤمنين. فإن في شيوع أخبار الفواحش – بالصدق أو بالكذب – بين المؤمنين مفسدة أخلاقية، فإن مما يمنع الناس عن المفاسد تهيبهم وقوعها، وكراهتهم سوء سمعتها، أمّا إذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش، خف وقع خبرها على الأسماع، فدب إلى النفوس التهاون بوقوعها، فتقدم النفوس الخبيثة على اقترافها، وبقدر تكرر وقوعها والحديث عنها تصير متداولة"(١).

وقد جاء التعبير في الآية بلفظ (يُحِبُّونَ) ورتب عليه العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، " ليُعلم أن من أحب ذلك فقد شارك في الذم كما يشارك فيه من لم

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٨٥).

ينكره ومن فعله،.. ويدل ذلك على وجوب سلامة القلب للمؤمنين كما يجب كف الجوارح والقول عما يضرهم(١). فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، فكيف بما هو أعظم من ذلك؟

ومما يحث على محبة الطهر والقول الطيب، وينفّر النفس من محبة الفاحشة وإشاعتها، قوله تعالى ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (النور/ ٢٦)، فجاء التعبير بهذا اللفظ ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ المنفر من التكلم بالقول السئ القبيح ومحبة ذلك، فأكثر المفسرين على أن المعنى: الخبيثات من القول أي قبيحه وسيئه، للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم أولى بها؛ لأنهم أهلها، والطيبات من القول أي حسنه وجميله، للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول؛ لأنهم أحق بها وهم أهلها، فلا يتكلم بالخبيثات ولا يرضاها إلا الخبيث من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب منهم.

وقيل معناه: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وكذا الخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء(٢).

وكذلك تحث الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ على ستر المؤمن وعدم هتكه (٣)، فيتعلم منها المسلم أن لا يتتبع عورات إخوانه من أهل الإيمان، ويستر عليهم، وفي هذا الستر علاج للكثير من أمراض المجتمع فتختفى بالستر ولا تنتشر.

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٤٥).
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ١٤٤)، اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٣٤٠).
(٣) محاسن التأويل (٧/ ٣٤٧).

ومن أدب النبوة في هذا، قول النبي ﷺ « من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة » [١]، وقال ﷺ «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [٢]، وقالﷺ « يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ » [٣].

٦- العفو والصفح:

العفو: القصد لتناول الشّيء والتّجاوز عن الذّنب [٤]. والْعَفو: كل من اسْتحق عُقُوبَة فتركتها فقد عفوته[٥].

الصّفح: إزالة أثر الذّنب من النّفس[٦]، فالصّفح والعفو متقاربان في المعنى فيقال: صفحت عنه أعرضت عن ذنبه، كما يقال عفوت عنه، إلّا أنّ الصّفح أبلغ من العفو، فقد يعفو ولا يصفح، وصفحت عنه: أوليته مني صفحة جميلة معرضًا عن ذنبه بالكلية [٧]، فالصفح الإعراض عن الذنب بالكلية، أما العفو فقد يظل أثره في النفس باقيًا .

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩)، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤٢)، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣/ ٤٤٦) برقم (٢٠٣٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ص (٢٤٣) .

(٥) الكليات ص (٥٩٨).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٧١).

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف ص (٢١٧).

العفو والصفح من الأخلاق العظيمة التي أمر بها القرآن، وجاءت الإشارة إليه من خلال آيات حادثة الإفك، والحض على التخلق به؛ فهو سبب لغفران الذنوب، قال تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور/ ٢٢)، أي ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ﷻ ألا يعطوا ذوي قرابتهم، فيصلوا به أرحامهم، والمساكين ذوي خَلَّة الحاجة، والذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في سبيل الله لجهاد أعداء الله ﷻ، وليعفوا عما كان منهم إليهم من جُرم، وَلْيَصْفَحُوا وليتركوا عقوبتهم على ذلك، بحرمانهم ما كانوا يعطونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا إلى مثل الذي كانوا عليه من الإفضال عليهم،

وإنما عُنِي بذلك أبو بكر الصدّيق ﷺ في حلفه بالله ﷻ ألا ينفق على مِسْطَح، وهو ابن خالة أبي بكرﷺ، وكان فقيرًا محتاجًا، وكان ممن هاجر من مكة إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا فأمره سبحانه بالعفو والصفح عن جرم مِسطَح إليه، في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك [١]، فلما نزلت هذه الآية وقال عز وجل: (أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فالجزاء من جنس العمل، وكما تعفو عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح عنه نصفح عنك، قال الصديق ﷺ عند ذلك: بلى، والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا. ثم أعاد إلى مسطح نفقته، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا [٢]. ففي الآية ترغيب عظيم في العفو والصفح وأن التخلق بهذ الخلق سبب لمغفرة الذنوب.

وقد وردت كثير من الآيات القرآنية تحث على العفو والصفح، قال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ١٣٦) بتصرف.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣١).

أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/ ١٠٩)، وقال عز وجل ﴿ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران/ ١٣٤)، ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التغابن/ ١٤)

والعفو والصفح من أخلاقه ﷺ، فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها، عن خلق رسول الله ﷺ فقالت:" لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح"(١).

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو، إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٢).

وللعفو والصفح فوائد عديدة، فهذا الخلق النبيل سبب لرفعة النفس وعزها، وموجب لغفران الذنوب، وفيه توثيق لروابط الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، "وفيه من الطمأنينة، والسكينة والشرف للنفس، وترفعها عن تشفها بالانتقام ما ليس منه شيء في المقابلة والانتقام" (٣)وغيرها من الفوائد .

وهكذا فقد جاءت آيات حادثة الإفك تحض على التخلق بالعفو والصفح، وترغب فيه فإن المسلم كما يحب أن يغفر له فليغفر وليصفح، وتحث أيضًا على عدم ترك صلة الأقارب والفقراء لذنب فعلوه فهذا ليس من سمات أهل الفضل، وأنه ينبغى على المسلم أن يحرص على تقديم الخير لوجه الله تعالى ولا تتحكم به مشاعر شخصية ومواقف عارضة.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣/ ٤٣٧) برقم (٢٠١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع (٤/ ٢٠٠١) برقم (٢٥٨٨).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٠٣) .

٧- الأمانة:

من الأخلاق التي تستنبط من حادثة الإفك خلق الأمانة، لاسيما الأمانة في الكلمة وصدق الحديث، ويتبين ذلك في موقف بريرة عندما سألها النبي ﷺ عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ (١) عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ(٢).

وكذلك تتجلى الأمانة في موقف السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، ففي حديث السيدة عَائِشَةُ رضي الله عنها في حادثة الإفك، قالت: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي «مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي(٣) مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ (٤). وهذا على خلاف موقف أختها حَمْنَةُ بنت جحش فلم تمتثل هذا الخلق وطفقت تحارب لها فهلكت فيمن هلك .

وقد بين سبحانه عقوبة من أطلق لسانه في حديث الإفك وخاض فيه، قال تعالي: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فتُقر وتشهد عليهم ألسنتهم بما تكلموا به من الفرية، بإنطاق الله ﷻ إياها بغير

(١) أغمصه: أعيبه، غمصت الشَّيْء عبته . المرجع السابق ص (٥٣٣).
(٢) سبق تخريجه ص (١٤).
(٣) أي تعاليني من السمو وهو العلو والارتفاع أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٨/ ٤٧٨).
(٤) سبق تخريجه ص (١٤).

اختيارهم[1]، فلما لم يلتزموا الأمانة في الكلمة وأطلقوا ألسنتهم بهذا الإفك، كانت عاقبتهم أن شهدت عليهم تلك الألسنة التي تكلموا بها.

وقال سبحانه ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق/ ١٨).

ولعظم أمانة الكلمة بين النبي ﷺ أنها من صفات المسلم الكامل الجامع لخصال الإسلام، فقال صلي الله عليه وسلم " المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"[2].

فعلى المسلم أن يلتزم خلق الأمانة في قوله وفعله، وإذا طلبت شهادته في أمر فعليه أن يكون أميناً صادق القول فلا يتكلم إلا بما يعلم، فالكلمة أمانة يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة.

هذا وقد أمرنا سبحانه وتعالى بأخذ العظة والعبرة مما سبق من أحداث ومواقف، قال ﷻ ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور/ ١٧، ١٨)،

وعدم اتباع خطوات الشيطان في ترويج تلك الشائعات، والتي تصد عن التخلق بتلك الأخلاق العظيمة، قال سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور/ ٢١)، فكل ما يصد عن مكارم الأخلاق، فهو من خطوات الشيطان، تجب مجانبته، فإن الشيطان لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر، "ومما يدعو إليه الشيطان ويزينه للناس، إطلاق الألسنة بالسوء والفحشاء، لتنهش

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٠٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، (١/ ١١) برقم (١٠).

فى أعراض المؤمنين، وتشيع فيهم الفاحشة، فمن أراد أن يكون من المؤمنين حقًا، فليصمّ أذنيه عن سماع كلمات السوء فى المؤمنين وليمسك لسانه عن لغو الحديث، فإن لم يفعل، كان فى ركب الشيطان، يتبع خطواته، مع أولئك الذين استجابوا له ووقعوا فى شباكه(١).

(١) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٢٥١).

خاتمـــــة

أحمد الله في الختام كما حمدته في البدء، وأصلي وأسلم على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وفيما يلي عرض لبعض النتائج والتوصيات لهذا البحث :

أولاً: نتائج البحث:

١- أولى القرآن الكريم بناء الأخلاق عنايةً بالغةً، ويدل على ذلك أن عدد آيات الأخلاق كبير جداً بالقياس إلى آيات الأحكام، حيث يزيد عددها عن خمسمائة وألف آية، في مختلف سور القرآن الكريم

٢- تنوعت أساليب بناء الأخلاق في القرآن تنوعًا كبيرًا، لو أردنا أن نستعرضها لطال بنا التطواف وما تمكنّا من الإحاطة بها.

٣- انطوت حادثة الإفك على قيم خلقية عديدة وعظيمة، التخلق بها يحمي المجتمع من مروجات الشر .

٤- تشير آيات حادثة الإفك إلى ضرورة إيقاع العقوبة الصارمة مع من يثير الشائعات ويسعى في نشرها، فإن إهمال ملاحقة ومعاقبة مثير الإشاعة وناقل الإفك، يجعل المجتمع لا ينتهي من فتنة إلا ويقع في أخرى.

٥- في الآيات تحذير لهؤلاء الذين يستخفّون بالكلمة، فالكلمة ليست مجرد صوت يخرج من الفم، وإنما هي رسالة من الرسالات إلى عقول الناس.

٦- كل ما يصد عن مكارم الأخلاق، فهو من خطوات الشيطان، تجب مجانبته، فإن الشيطان لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر .

٧- يجب أخذ العبرة والعظة من التجارب والمواقف السابقة، حتى لا نكون فريسة لتوجيهات شياطين الإنس أو الجن التي تحاول جر المجتمع إلى الهاوية.

ثانيًا: التوصيات:

١- أوصي الباحثين والتربويين بالعمل على توعية وتوجيه الناس إلى أهمية الأخلاق وضرورة التحلى بها، ونشر ذلك بكل الوسائل والأدوات الممكنة، سواء عن طريق الأبحاث والمجلات، أو المناهج التعليمية، ووسائل التواصل المختلفة.

٢- أوصي نفسي وكل من يقرأ هذا البحث أن يمتثل ما فيه من أخلاق، وأخذ العبرة والعظة من تلك الآيات، ولو اعتراه شيء من وسوسة الشيطان فليتذكر قول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، وإذا يسر الله ﷻ له طرق الخير وحسن الأخلاق وأعانه عليها، فهذا من فضل الله عليه، فليحمد الله عز وجل ويشكره.

وبعد،

فهذا ما فتح الله علىّ به ووفقنى لكتابته فى هذا البحث، فإن كنت قد وفقت فيه للصواب، فذلك بفضل الله وهدايته وحسن توفيقه، وإن كانت الأخرى فذلك من نقصى وتقصيرى، وأتوب إلى الله واستغفره، وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- **كتب التفسير وعلوم القرآن:**
- الأساس في التفسير، المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ١١ (في ترقيم واحد متسلسل).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ .
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة،

الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨ .

- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة .
- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، عدد الأجزاء: ٣٠ .
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ .
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٣ .
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى .
- تفسير سورة النور، المؤلف: محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net .
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد

شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.

- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات) .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).
- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .
- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤ .
- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل

أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢٠ .

- مباحث في إعجاز القرآن، المؤلف: د مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١ .
- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

كتب الحديث وشروحه:

- الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، عدد الأجزاء:١ .
- الجامع الكبير – سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد

معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٦ .

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩ .
- سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، المؤلف: ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٥ .
- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: ٤ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عدد الأجزاء: ١٣ .
- مداراة الناس، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)،

المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١ .

- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٤ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، عدد الأجزاء: ١٨ .
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥ .

كتب الغريب والمعاجم:

- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥، عدد الأجزاء: ١.
- التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١ .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦ .
- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

- كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١ .
- كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨ .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، عدد الأجزاء: ١ .
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠ .
- معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (٣ ومجلد للفهارس) في ترقيم مسلسل واحد.

- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة .
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦ .

مراجع أخرى:

- إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٤ .
- أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١ .
- أصول الدعوة، المؤلف: عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: ١ .
- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين

بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٣ ومجلدان فهارس).

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠ .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢ .
- ملتقى أهل اللغة .
- منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام للدكتور حلمي عبد المنعم صابر، دار النشر: جرير للنشر والتوزيع، سنة (٢٠١٠).
- المنهيات، المؤلف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع –القاهرة، مصر، عام النشر: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، عدد الأجزاء: ١٢ (١١ ومجلد للفهارس) .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	**مقدمة**
٢	**تمهيد**
٣	**المبحث الأول : بناء الاخلاق في القرآن**
٤	**المطلب الأول:** عناية القرآن ببناء الأخلاق.
٥	**المطلب الثاني:** أساليب بناء الأخلاق في القرآن.
٦	**المطلب الثالث:** وسائل اكتساب الأخلاق في ضوء القرآن .
٧	**المبحث الثاني: حديث القرآن عن حادثة الإفك.**
٨	**المبحث الثالث: بناء الأخلاق في ضوء آيات حادثة الإفك**
٩	**المطلب الأول:** بناء الأخلاق الفردية
١٠	**التفاؤل**
١١	**ترك العجب**
١٢	**المطلب الثاني:** بناء الأخلاق الإجتماعية
١٣	**حسن الظن**
١٤	**التبين**
١٥	**صون اللسان**
١٦	**العدل**
١٧	**إباء النفس إشاعة الفاحشة**
١٨	**العفو والصفح**
١٩	**الأمانة**
٢٠	**الخاتمة**
٢١	**المصادر والمراجع**